ابن حبان

أعلام الحديث

الإمام الحافظ ابن حبان

هو الإمام العلاّمة الحافظ القاضي أحد الأئمة الرحالين والمصنفين. أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيد بن هديَّة بن مرة بن سعد بن يزيد التميمي الدارمي البستي، يعرف بابن حبان يكني - رحمه الله - بـأبي حاتم [1] البستي نسبة إلى مدينة بُسْت[2].

بدأ في طلب العلم والحديث في سن مبكرة من عمره فطاف البلاد ورحل إلى الآفاق طلباً للعلم والعلماء، فشدَّ الرحال إلى البصرة ومصر والموصل ونسا وجرجان وبغداد ودمشق ونيسابور وعسقلان، وبيت المقدس وطبرية وهراة، وغيرها من المدن، وقد بلغ مجموع شيوخه قرابة ألفي شيخ، كما صرح في مقدمة كتابه [3] فقال: " لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من اسبيجاب إلى ا لاسكندرية ".

(1) الأنساب 248/1، ومعجم البلدان 328/2، والكامل 566/8، واللباب 105/1، وسير أعلام النبلاء 92/16، وتذكرة الحفاظ 920/3، وتاريخ الإسلام وفيات 354، والعبر 94/2، والوافي بالوفيات 317/2، والبداية والنهاية 248/11، وشذرات الذهب 16/3، وهدية العارفين 44/6).

(2) بالضم مدينة كبيرة بين سجستان وغزنين وهراة، خرج من هذه المدينة كبار العلماء أمثال: أبو سليمان الخطابي صاحب كتاب " معالم السنن "، وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل أبو محمد القاضي، وأبو الفتح البستي الشاعر الكاتب صاحب التجنيس.

(3) التقاسيم والأنواع 152/1.

وقد علق الذهبي [1] على ذلك فقال: " كذا فلتكن الهمم ".

أبدع رحمه الله في شتى العلوم فإلى جانب تبحره في علم الحديث، كانت له معرفة واسعة في علم الفقه، مع القدرة الفائقة على استنباط المسائل والأحكام من النصوص، وأبدع أيضاً في علم العربية وعلم الطب والنجوم وغيرها، ويظهر ذلك واضحاً من خلال الثروة العلمية الهائلة من المصنفات التي خلفها لنا.

وقد أثني عليه الكثير من العلماء والفقهاء فقد قال فيه أبو سعد الإدريسي: " كان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار عالماً بالطب وبالنجوم وفنون العلم ".

وقال الحاكم: " كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال ".

وقال أبو بكر الخطيب: " كان ابن حبان ثقة نبيلاً فهماً ".

وقال ياقوت الحموي: " أخرج من علوم الحديث ما عجَزَ عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمُّل منصف علم أنّ الرجل كان بحراً في العلوم ".

وقد تتلمذ في الفقه على يد شيخه إمام الأئمة، وأخذ عنه طريقته في استنباط الأحكام والمسائل الفقهية، ويظهر ذلك جلياً في كتابه " التقاسيم والأنواع " الذي يبيّن مدى تمسك ابن حبان بمنهج شيخه في الاستنباط، وتقليده الكامل له، لكن مع تصرفه الخاص الذي يمليه عليه عقله وأسلوبه، رحم الله ابن حبان وشيخه ورحمنا جميعاً.

(1) سير أعلام النبلاء 94/16.

شيوخه:

تلقي ابن حبان العلم علي أيدي الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين منهم:

1- أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي الصوفي الكبير، أبو محمد، وثقه الخطيب وغيره وكان صاحب حديث وإتقان (ت 306هـ-) [1].

2- أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (أبو يعلى الموصلي) محدث الموصل وصاحب المسند والمعجم
(ت 307هـ-) [2].

3- الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز، أبو العباس الشيباني الخراساني النسوي، صاحب المسند (ت 303هـ-) وقد حضر دفنه ابن حبان انظر [3].

4- الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود، أبو عروبة السلمي الحراني الجزري، مفتي أهل حَرّان ومصنف كتاب " الطبقات " و" تاريخ الجزيرة " (ت 318هـ-).

5 -ابن خزيمة إمام الأئمة وشيخ خراسان.

(1) تاريخ بغداد 132/5، وسير أعلام النبلاء 152/14.
(2) سير أعلام النبلاء 174/14، وتذكرة الحفاظ 707/2.
(3) سير أعلام النبلاء 157/14، وتذكرة الحفاظ 703/2.

6- السَرّاج: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران، أبو العباس السراج الثقفي مولاهم الخراساني النيسابوري، صاحب " المسند الكبير " (ت 313هـ).

7- عبد الله بن محمد بن سلم، أبو محمد المقدسي الفريابي الأصل، وصفه ابن المقرئ بالصلاح والدين، توفي سنة اثني عشر وثلاث مئة [1].

8- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن شيرويه بن أسد، أبو محمد القرشي المطلبي النيسابوري، صاحب التصانيف (ت 305هـ).

9- عمران بن موسى بن مجاشع، أبو إسحاق الجرجاني السختياني، مصنف " المسند " (ت 305هـ).

10- عمر بن سعيد بن أحمد بن سعد بن سنان، أبو بكر الطائي المنبجي.

11- عمر بن محمد بن بُجير، أبو حفص الهمداني البُجَيري السمرقندي محدث ما وراء النهر ومصنف " المسند " و" التفسير " وغيرها (ت 311هـ).

12- الفضل بن الحُبَاب، أبو خليفة الجمحي البصري الأعمى، لقي الأعلام وكتب علماً جمّاً، وكان ثقة صادقاً مأموناً أديباً فصيحاً مفوَّهاً، رُحِل إليه من الآفاق، (ت 305هـ).

13- محمد بن الحسن بن قتيبة، أبو العباس اللخمي العسقلاني، كان مسند أهل فلسطين، ذا معرفة وصدق (ت 310هـ).

(1) سير أعلام النبلاء 157/14، وتذكرة الحفاظ 703/2، والوافي بالوفيات 187/2، الأنساب 452/3،.

14- النسائي: هو أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي صاحب " السنن " كان من بحور العلم (ت 303ه-).

تلامذته:

1- الحاكم: هو محمد بن حمدوُيه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله ابن البَيّع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف (ت 405ه-).

2- الدارقطني: هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، من بحور العلم، وأئمة الدنيا في الحفظ والفهم والورع، صاحب " السنن " و" العلل " وغيرها (ت 385ه-).

3- ابن منده: هو أبو عبد الله محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق ابن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، صاحب كتاب " معرفة الصحابة " و" التوحيد " وغيرها (ت 395ه-).

وغير ذلك من العلماء ممّا حوته كتب التراجم والأعلام.

آثاره العلمية:

يعد ابن حبان - رحمه الله - أحد العلماء البارزين المكثرين في التصنيف، إذ له عدد كبير من المصنفات، يغلب عليها التصنيف في الحديث والجرح والتعديل، وقد أبدع فيها،

وقد استقصى هذه المصنفات عدد من الباحثين المعاصرين ذكروا منها:

1- أسامي من يعرف بالكنى.

2- أنواع العلوم وأوصافها.

3- التقاسيم والأنواع.

4- الثقات.

5- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء.

6- علل أوهام أصحاب التواريخ.

7- علل حديث مالك.

8- علل مناقب الزهري.

9- غرائب الأخبار.

10- الفصل والوصل.

11- ما انفرد به أهل مكة من السنن.

12- ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن.

13- ما خالف فيه الثوري شعبة.

14- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين.

15- مشاهير علماء الأمصار.

16- المعجم على المدن.

17- الهداية إلى علم السنن.

وغير ذلك من المصنفات ممّا ورد في كتب التراجم والأعلام.

كانت وفاة ابن حبان - رحمه الله - سنة 354ه - في شهر شوال بسجستان بمدينة بُست [1].

* * *

(1) الأنساب : 2 / 209- 210، معجم البلدان : 1 / 415- 419، إنباه الرواة : 3 / 122، الكامل لابن الاثير: 8 / 566، اللباب: 1 / 151، المختصر في أخبار البشر : 2 / 105- 106، تذكرة الحفاظ : 3 / 920- 924، ميزان الاعتدال : 3 / 506- 508، العبر : 2 / 300، دول الإسلام: 1 / 220، الوافي بالوفيات: 2 / 317- 318، مرآة الجنان: 2 / 357، طبقات السبكي: 3 / 131- 135، البداية والنهاية: 11 / 259، لسان الميزان: 5 / 112- 115، النجوم الزاهرة : 3 / 342- 343، طبقات الحفاظ : 374- 375، شذرات الذهب : 3 / 16، هدية العارفين : 2 / 44- 45، الرسالة المستطرفة: 20- 21، 2 / 287.